٩

# الزمان والمدلول الشعري في قصص العرب لإبراهيم شمس الدين

أسيل منذر محمد

جامعة بغداد/ كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية

أ.د. زياد طارق جاسم

جامعة بغداد/كلية العلوم الإسلامية/ قسم اللغة العربية

**المقدمة:**

الحمدُ لله معطي النعم أوجد الأنسان من العدمِ ، الكائن قبلَ المكان القائم قبلَ الزمان ، والصلاة والسلام على المعلمِ الأول وعلى آله الطاهرين وصحبه الغر الميامين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم البعث أما بعد:

يهدف هذا البحث إلى معرفة مفهوم الزمن، ومدى تأثيره على الساحة الادبية، وقد كثرت الاقاويل حول تحديد مفهوم الزمن في الاعمال الادبية، فهو من أهم العناصر الرئيسية في بناء الاعمال الادبية بانواعها المختلفة وسواء كانت احداثها حقيقة ام خيال ومن أجل الخوض في هذا المضمار لابد من التعرف على مفهوم الزمان ولهذا فقد قسمتُ البحث إلى مقدمة واربعة مطالب فالمطلب الاول جاء في المعاني اللغوية والاصطلاحية للزمان والمطلب الثاني جاءَ لبيان أهمية الزمان وأثره على الأنسان والمطلب الثالث جاء في إبعاد الزمان والمطلب الرابع التطبيق العملي على النماذج المختارة من كتابِ قصص العرب تحت عنوان الزمان والمدلول الشعري في قصص العربِ لإبراهيم لمعرفة مدلول الزمن في الشعر ثم خاتمة وقائمة بأهم المصادر والمراجع.

**الكلمات المفتاحية: المعاني اللغوية والاصطلاحية للزمان، إبعاد الزمان، أهمية الزمان واثره على الأنسان، ثنائية الموت والحياة ، ثنائية الماضي والحاضر، ثنائية الليل والنهار.**

Thank God, the Giver of blessings, who created man from nothing, who existed before the place that existed before time, and may blessings and peace be upon the first teacher, his pure family, his distinguished companions, and those who followed them in righteousness until the Day of Resurrection, as for what follows:

This research aims to know the concept of time and the extent of its impact on the literary arena. There has been much talk about defining the concept of time in literary works, as it is one of the most important key elements in constructing literary works of various kinds, whether their events are fact or fiction.

In order to delve into this field, it is necessary to get to know the concept of time. Therefore, I divided the research into an introduction and four demands. The first requirement came in the linguistic and conventional meanings of time, the second requirement came to explain the importance of time, the third requirement came in

the dimensions of time, and the fourth requirement came in practical application on the models selected from the book Arab Stories. Under the title of time and the poetic meaning in Arab stories, to know the meaning of time in poetry, then a conclusion and a list of the most important sources and references.

**المطلب الأول: المعاني اللغوية والأصطلاحية للزمان:**

**أ-الزمان في اللغة:** الزمان هو اسم" لقليل الوقت وكثيره ويجمع على أزمان وأزمنة وازمن "(١) كما ان ابن – منظور تحدث عن الزمن بقوله "ولقيته مذ زمنة اي زمان والزمنة " (٢)البرهة وقام زمنة بفتح الزاي " ولقيته ذات زمنين"(٣) اي في ساعة لها اعداد ويريد بذلك تراخي في الوقت

ويظهر للعيان في ان المعاجم العربية تتفق على ان كلمة الزمان تطلق على الوقت قليله او كثيره وان لفظة الزمن او الزمان هي لفظة واحدة.

السؤال هنا ما الفرق بين الزمن والزمان ؟ لفظة الزمن لفظة بصيغة المفرد والزمان مفردة تدل على الامتداد الزمني والتي تدخل بها بعض المفردات الدهر والوقت والمدة، والزمان هو ما يتم قياسه واستعماله في حياتنا من الزمن واما الزمن هو الذي نستشعره كل لحظة بدون تحديده.

**ب-الزمان في الاصطلاح:** ان مفهوم الزمن عند الأدباء كان شائكًا نوعًا ما، فهو الجانب المأساوي الذي كان شغل كثير من الناس ففي العصر الجاهلي كان الاعتقاد السائد لديهم هو ان للزمن قوة وسلطة تهيمن على الناس وانه مصدر شقاء وشر عبر الاجيال وقد اظهر القرآن الكريم هذه النظرة المأساوية عندهم ففي قوله تعالى:"وقالوا ماهي الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر"(سورة الجاثية ٢٤) ،وقد عرف علماء العرب بتعريفات مختلفة فالجرجاني عرفه بقوله " هو مقدار حركة الفلك الأطلس "(٤)، قال التهاوني " الزمن هو حركة الفلك الأعظم "لأنه هو محيط بكل الاجسام المتحركة وقيل حركة الفلك الأعظم لأنها غير قادرة على توازن الزمان(٥)

ذهب الفلاسفة العرب لمفهوم الزمان الارسطي ومنهم المتكلمين الذين يرون ان الزمان اعتبار موهوم (٦) وله إبعاد ثلاثة: حاضر والمستقبل والماضي فالحاضر يحمل في طياته المستقبل والحاضر هو نتيجة الماضي(٧).

ومن معاني التي جاءت عن الزمان في الفلسفة الحديثة أنه وسط لا نهاية له مشابه للمكان تجري فيه الاحداث فيكون لكل منهما تأريخ ويذهب العلماء الى ان الزمان خط ذي استقامة غير محدد وعند بعض المحدثين هو

المتغير الذي يجعل الحاضر ماضيًا(٨)، ونهاية قولنا ان الزمن موجود في الفلسفة حيث يرى الفلاسفة ان الزمن موجود فينا مع بدء الكون ومرتبط بالحركة الى حد كبير التي بدورها تكون متغيرة ونحن وقفنا على الزمن باعتباره مقولة فلسفية ظهرت في الادب مؤخرا.

اما مفهوم الزمن عند الفكر الفلسفي اليوناني لقد توسعت مصادره فأرسطو عرفه بأنه " مقدار حركة الفلك الاعظم"(٩)، بينما افلاطون يرى الزمن مظهر من مظاهر انظمة العالم وهو اول من جعل للزمان بدء حيث يرى أنه جاء مع وجود الكون، ويرى للزمان اجزاء وصور واجزائه الليالي والايام والاشهر والسنوات واما صوره هي ما كان وما سيكون(١٠)

اما الزمن في الاصطلاح هو الشبح الذي يتبع آثارنا حيثما وضعنا خطواتنا او استقرت نوايانا فالزمن يحكي وجودنا ولا نراه بعيننا المجردة واننا لنتوهم رؤيته في شيب الانسان وتجاعيده او حتى سقوط اسنانه (١١).

ان الجهود الأدبية في معرفة ماهية الزمن ظلت عاجزة لوقت ليس بقصير فالزمان في اي كتابة سردية هو مجموعة من اللحظات دونّها المبدع على الورق في حالة تصالح مع ذاته، ويرى الشكلانيون الروس أنهم اول من روج لبحث في مفهوم الزمن في نظرية الأدب وقد جعلوا نقطة ارتكازهم ليس طبيعة الاحداث في ذاتها إنما العلاقات التي تجمع بين تلك الاحداث وتربط اجزائها ويمكن عرض الاحداث في اي عمل أدبي على طريقتين، الاولى: عن طريق (السببية) فتأتي الاحداث مترابطة بشكل متسلسل وفق منطق خاص بالكاتب او عن طريق أن يتخلى الكاتب الاعتبارات الزمنية بحيث يكون تتابع الاحداث دون منطق داخلي (١٢).

ومن وجهة نظرة البنائية يجب ان تكون هناك مطابقة في رواية ما او في قصة مع الترتيب الطبيعي لاحداثها – يفترض انها جرت بالفعل – فبالنسبة للروايات التي تحترم هذا الترتيب فأن الوقائع التي تحدث في زمن واحد لابد ان تُرتب في بناء روائي ترتيبًا متتبعًا لان طبيعة الكتابة تفرض ذلك ما دام الروائي لا يستطيع ان يروي عدة وقائع في زمن واحد فهناك فرق بين زمن السرد وزمن القصة (١٣) وبضمن هذا الصدد يقسم تودوروف ازمنة التي تتعلق بفن القص الى ثلاثة اصناف زمن القصة الذي يكون خاص بالمتخيل او التخييل وزمن الكتابة الخاص بعملية التلفظ وزمن القارئ اي لزمن الضروري لقراءة النص (١٤).

وتذهب سيزا القاسم الى نفس التقسيم حيث ترى ان هناك ازمنة خارجية ( تتعلق بزمن الكتابة وزمن القراءة ) وازمنة داخلية ( تتعلق بالاحداث داخل الرواية ) وترى ان الاخير هو الذي يشغل النقاد والكتاب بعد ظهور نظرية هنري جيمس لاهتمامه بالديمومة داخل النص وكيفية تجسيدها داخل الرواية (١٥)

يختلف الزمن السردي عن الزمن الاعتيادي فالسردي ينمو داخل الشخصية ليكون ذاتها ويخبر عنها وعن تغييرات التي تحصل للشخصيات بينما العادي هو الايام والشهور والليالي والساعات فهو الزمن الكوني صوره تكون في الشيخوخة والموت والمرض نتيجة توالي الايام وتجدر الاشارة بان الزمن لا يتوقف ولا يعود الى الوراء فالزمن: مجموعة من العلاقات الزمنية – السرعة والتتابع والبعد الى اخره – بين المواقف والمواقع المحكية والحكي وبين الزمن والخطاب(١٦).

واخطأ الشعراء القدماء والمحدثين في توقيت نظم القصائد لانها كانت تمثل ردة فعل تفقد فعلًا انيًا او سابقًا فالتوقيت عندهم لا يشكل فارقًا مهمًا فشعر هؤلاء الشعراء يكون من وقائع حصلت في الماضي وما زالت ابعادها في المستقبل (١٧).

**المطلب الثاني: أهمية الزمان وأثره على الأنسانِ:**

شرع الزمن بحركته منذ بدء الخليقة ويمارس فعله بكل المخلوقات والموجودات على سطح الارض فهو اعتبار حق من حقوق اي حي وينخر كالسوسة في بطن كل كائن (١٨) ولسنا وحدنا صرعى الزمان فكل الموجودات وان كانت جامد لها حقٌ في الزمن فحركته لها ثمن علينا، الزمن بحركته يمارس دوره على البشر وان الأنسان بدوره لا يمكنه امتلاكه الزمن بالرغم من انه يضبط ايقاع حياتنا ويعتبر التيار الداخلي الذي يحرك حياتنا، وان دورة عقارب الساعة ليست هي الزمان الحقيقي التي تسير على مناول واحد فهي تتغير تبعًا لواقعنا النفسي فالحزن يوقف الزمن والفرح يشعرنا بسرعته (١٩)، أن الزمن موجود في أعمق نقطة في خيرتنا اليومية كما يبدو فعالية اي أن اي شعور قوي يترك اثره دومًا ففي حياتنا اليومية نكون وافقين دومًا ازاء نقطتين هما اللحظة الحالية (الآن) والاخرى هي شعورنا بجريان الزمن من الماضي إلى الحاضر (٢٠)

إن اي لحظة من لحظاتنا عنصر ينظم تاريخنا واحس الأنسان بالزمان منذ وجوده فهذا اللامرئي يقودنا دون ان نشعر إلى الموت رغم محاولاتنا للبقاء، وتختلف نظرة الأنسان للزمن عن غيره من البشر تبعًا للعصر الذي يعيشه وإن الاحساس بحركة الزمن كانت نتيجة التغيير الذي حدث في الكون خلال هذا القرن، ونجد الإشارة بنا الى إن ادراكنا للزمان مرجعه الذاكرة وان الجانب الضدي للذاكرة هو النسيان الذي قد يغيب الزمن فيه وأكد بيرجسون وفرويد أنه ناتج عن قصور في التذكر وليس له اي صلة بالأستبقاء وان الذاكرة تعتبر استبقاء لاشعوري (٢١)

تكمن اهميته من الناحية الأدبية باعتباره عنصر من العناصر الأساسية التي تقوم بها القصص وتعتبر القصص اكثر الانواع الأدبية التصاقًا بالزمن بكونه عنصر التشويق والايقاع وليس للزمن وجود مستقل في القصة مثل الشخصية والمكان فلا نستطيع ان نستخرجه فهو يتخلل العمل النثري ويُعتبر الهيكل الذي تبنى فوقه القصة (٢٢)

من الصعب وجود سرد خالٍ من الزمن فالزمن هو الذي يجد السرد وينمو السرد بداخله وزمن الرواية ماهو الا زمنًا داخليًا حركته تكون بحركة الشخصيات والاحداث (٢٣).

ويكون الزمن انسانيًا قدر ما تم التعبير عنه بالطريقة السردية القصة او الرواية ليست تأريخ فالمؤلف له الحق بالنطق بالمسكوت عنه وفق تسلسل زمني فيكون هو مؤرخه الوحيد فحضور الزمن هنا ليس للكشفِ عن زمن حدوث الاحداث انما تصوير دقيق لحدوث هذه الاحداث وكيفية حدوثها وقف مرورها على سرعات متفاوتة فالزمن من ناحية السرد لا يكتسب اي اهمية من حيث هو مكون للنصوص القصصية بل له موقع مهم داخل هذه البنية القصصية فهو احيانًا يكتسح الصدارة لمكونات السرد، ولما كان الزمن واحدًا من أهم العناصر الاساسية في البناء القصصي فأننا نجد أن نجاح اي اثر ابداعي هو مرهونًا بطريقة الكاتب في معالجة الزمن وكيفية التي يتم بها ربط الاحداث اي بمعنى ان لا ابداع في الفن القصصي من غير الزمن ولابد من الاتفاق عليه بالاهمية (٢٤).

**المطلب الثالث: إبعاد الزمن:**

إن للتشكيل الزمن في الأدب دور فعال ويمكن تحديد على هذا الأساس نوعين من الزمن:-

**1-الزمن الموضوعي :**

يتميز الزمن بحركته إلى الامام وعدم عودته إلى الخلف اطلاقا ويمكن تحديده بواسطة التركيب الموضوعي للعلاقة الزمنية في الطبيعة ونعرف هذا الزمن من خلال الساعات والتقاويم وميزة هذا النوع الصدق ويتعدى الذات ،ويتضح الزمن الموضوعي في تعاقب الليل والنهار وفصول السنة من بدء الحياة الى الممات وكل هذه تكون في الارض أي تكون حركة الزمن متجددة نتيجة حركة الارض فالفصول الموسمية تبقى اربعة وهذا التكرار هو من صفا الزمن الموضوعي ولكن هذا الزمن يتخلى بازمنة طويلة تتعلق بالانسان وتأريخه وميلاده والى موته ... (٢٥)

**2-الزمن النفسي :**

أن كل فرد منا لديه زمنه الخاص به المتصل بذاته وتجاربه وخبراته وبعبارة اخرى ان الزمن فعال في بناء شخصية الانسان ولا يمكن حصره.. وهذا النوع من الزمن كيفي نسبي لأنه لا يتغير بتغير حركات الارض والشمس ولكنه يعبر بحالات الانسان النفسية فهو لا يخضع للقياس بالساعات او التقاويم أنما يخضع لدوافع نفسية فردية فالقلق يوقف الزمن بالنسبة للانسان و السعادة تجعل الزمن يتدفق بشكل أسرع وهذا ما تحت تسمية الزمن السيكولوجي (٢٦) .. وان الفرق بين الزمان الموضوعي والذاتي يقع في أن النوع الأول هو نتاج حركة الارض والشمس، ومشترك بين جميع البشر على سطح الارض وبينما الثاني هو نتاج لتجارب وخبرات ويختلف من فرد لاخر فلكل منا زمنه الخاصة به فلكل فرد ماضي ومستقبل له متطلبات (٢٧) .. .

ويضيف الدكتور شجاع العاني انواع اخرى منها مايلي:

**1-الزمن التاريخي:**

هو الزمن الذي تقع فيه احداث مختلفة واعتاد الروائيون القدماء ان يذكروه بشكل تفصيلي واما المحدثون يميلون إلى ذكر الفترة التاريخية فقط.

**2-الزمن الكوني :**

هو اختلاف الليل والنهار وما ينشأ بينهما من ايام واسابيع وشهور ودهور وعقود من خلال الدورات الطبيعة للحياة وتعاقب الأجيال ..(٢٨) وهناك عدة أزمنة تتعلق بفن القص منها الأزمنة الخارجية ( خارج النص) أي زمن الكتابة وأزمنة داخلية (داخل) النص الفترة التاريخية التي تجري فيها احداث الرواية ويوجد الزمن التتخيلي هو الذي شغل الكتاب والنقاد .. .(٢٩) ويرى تودوروف ان هناك ثلاث اصناف لأزمنة المتعلقة بالقص هي (زمن القصة الخاص بالخيال – وزمن الكتابة مرتبط بعلمية التلفظ- ثم زمن القراءة اي زمن قراءة القصة) (٣٠)

**المطلب الرابع: الزمان والمدلول الشعري في قصصِ العرب:**

أن القارئ الكتاب قصص العرب يكتشف حضور مكثف وعمق الدلالي لزمن في النصوص الشعريه اذ ان العلاقة الصحيحة بين الادب والزمن علاقة وثيقة ( ثمة صلة وثيقة تربط لان بالزمان والمكان ذلك أن الادب- اي ادب لا بد ان ينتج في زمان ومكان معينين) (٣١) وان العلاقة الواضحه بين الزمن والمضمون العربي وقد جاء ذلك بناء على انواع الزمن وتقلباته وموقف الشعراء فنجد الشاعر يتحدث عن الماضي الجميل الذي يحلم به والعودة

اليه الرغبة في الرجوع الى الشباب وغير ذالك وفي كتاب قصص العرب تنوعت هذه الثنائيات وبأشكال ونماذج مختلفه ومنها:

**١- الموت والحياة :**

اعالج في هذه الصفحات القليلة بالغة الخطورة والاهمية هي ثنائية الحياة والموت افقد بات الانسان منذو اقدم عصوره يفكر بها ولا تذهب عنه فكره هذه الثنائية ولاسيما الموت الذي ظل سره مشكلة عصيه الحل على **الإنسان** حلها، ولذا ذهب يتأمل محاولاً فك طلاسمه ورموزه وشكل الموت هاجساً دائمي الذي ويشغل فكره يقلقه ،فالموت نهاية محتمه للجميع، ويراقبها الإنسان بشكل دائمي كل يوم وهو مجهول ،فنحن لا نعرف ما الذي وراءه الى أن اجاء الإسلام وقضى على بعض هذا الحيرة فبين ماهيته فاعالج القرآن الكريم الموت علاجاً مذهلاً فلا نجده كتاباً على الأرض أظهر العناية بالموت وفك بعض أسراره فالانسان أدرك أن هناك بعث وحساب وحياته مستمره بعد وفاته. وقد اشار القرآن الكريم الى هذه الحقيقة التي كانت تلازم الانسان الذي يرفض الموت لوصفه رمزاً للحياة اذ يقول الله تعالى "وقالو وماهيه الا حياة الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر" (الجاثية ٢٤ )ولم يكن الشاعر العربي بمنأى عما يجول بنفسه وما يفكر به الاخرين فيقول فهذه الشاعر يتحدث عن الموت والحياة بقوله :

**لقد لعبت وجدَّ الموت في طلبي وأن في الموت لي شغلاً عن اللهو**

**وسمت فكرتي فيما خلقتُ لهو وما يشتد حرصي ع الدنية ولا طلبي (٣٢)**

ظل الموت هاجساً لدى الشاعر فأستخدم الموت في الاتجاه الزهدي الذي يطغى ع الابيات وتميز الشاعر ابو العتاهيه بموقف خاص من الموت وهذه الموقف نابع من فلسفته اتجاه الدنيا وفي هذه الابيات تنبيه للصحو من غفله الدنيا والاستعداد للآخره فهو يطلب الموت ويراه افضل من اللهو واللعب ويصور نظرته للدنيا من خلال تفضيل بين الفانية والباقية ويرى ان منتهي اماله ان يسمو في دار البقاء لانه لم يحرص ع الدنيا ولا يريد الفوز بها وهناك بعضاً من الشعراء يصور الموت في فراق الحبيب فهو موت بطيء فيقول الشاعر:

**يوم الفراق من القيامة اطول والموت من ألم الفراق اجمل**

**قالو الرحيل قلت:لستُ براحل ولكن مهتجي التي تتراحل(٣٣)**

فالشاعر في البيت الاول انه مستسلم للموت ويرى ان الفراق محتوم كيوم القيامه فهو على ما يقاسيه من ألم الفراق واستخدم الالفاظ التفضيلية بين يوم الفراق ويوم القيامة والم الفراق والم الموت ، فهو على ما يقاسيه من الفراق والابتعاد عن محبوبته يجد أن حياته تسير إلى الموت ويجد أن موته افضل من الفراق ، وان قافية (اللام مجهور الشديد) دلت على عنف الفراق وقوة الزمن ويمكن ان نعد ان حرف اللام هو مفتاح القصيدة فقد كرره الشاعر خمس مرات فقد تناسب هذا الحرف مع الم الفراق وميلانه للموت دون للفراق وانكساره بسبب الفراق.

**و من بنماذج الاخرى قول الشاعر**

**وما الجديد الموت يا بشر لذة  فكل جديد تستلذ طرائفه**

**فلا خير إن الله يا بشر ساقني  إلى بلد جاورت فيه خلائفه**

**فلستُ واه عيش تولى بجازع  ولا ان ضم الموت خائفة (٣٤)**

يبوح هذا النص الشعري بعاطفة جياشة صادقة ولغة رقيقة تكشف عن ألم والحزن لفراق الحبيبة فهو يكرر كما سبق نداء( يا بشر) فقد ملكت بشر قلب الشاعر واحتلت مكانة عظيمة في نفسه فقد حقق هذا التكرار ايقاعا نغميًا يقوي دلالة الحزن الذي خيم على نفسه الشعري فراح يفكر في الموت و يؤكد عدم خوفه منه وليس بجازع منه لانه نهانيتنا المحتومة وبنفس الشاعرية الحزينة تقول الشاعرة:

**يا موت دونك روحي بعد سيدها  خذها إليك فقد اودت بما فيها**

**اسلمت روحي للرحمن مسلمة  ومت موت حبيب كان يعصيها**

**لعها في جنات الخلد يجمعها  يوم الحساب ويوم البعث باريها**

**مات الحبيب وماتت بعده كمدا  محبة لم تزل تشقي محبيها(٣٥)**

يمثل زمن الرثاء ثنائية الحاضر والماضي اذ يكون الحاضر نعي المتوفي وندبه وذكر صفاته الحسنة وبيان ما صار إليه الحال بعد رحيله وأما الماضي فيتمثل بايامه الماضية وتقوم الشاعرة بالاستذكار كله عبر الرجوع الى

الماضي فتقابل الشاعرة بين الماضي الذي كانت تعصي الله فيه من خلال محبوبه وقد انقضى هذا الزمن بموته والحاضر الذي صارت فيه مسلمة بعد موته و تتطالب بالموت بسبب وجدها على سيدها ومحبوبها لربما تنجمع به يوم البعث والحساب ، تصور الشاعرة عظم المصاب من خلال المبالغة بتمني الموت حيث الموت بديلا لمحبوبها التي كانت مقربة منه وتتواشح الابيات بين الرثاء والتوبة لتقديم نص تطغى عليه عاطفة مزدوجة ، وما جاء ايضًا في ذكر الموت من قول الشاعر:

**أبلغ سلامة أن البين قد افدا وأن صحبك عنها رائحون غدًا**

**هذا الفراق يقينًا إن صبرت له أو لا فإنك منها ميت كَمَدا**

**لا شك أن الذي بي سوف يهلكني إن كان اهلك حب قبله احد(٣٦)**

استهلت الابيات بوصية مرتقبة من الشاعر فانه يقر بان له باعًا طويلًا في الحب ، ومع ذلك فقد تم هجرانه فيبدأ ابياته مخاطبًا ب بفعل الامر أن يبلغ سلامة ان موته قد اسرع وحان فاستعمل لفظة- افدا- لدلالة على سرعة انقضاء حياته وان موعد موته والحزن وانه يموت من الكمد اي الحزن الشديد المكتوم الذي ينهي حياة العاشق ويشكو الشاعر من هذا الحب ، فاسلم الشاعر المصيره المحتوم الموت- فسكنت نفسه من الحزن وندب نفسه ويضع تجربته في الحب أمام عينيه ففاض شعره بالحزن واللوعة وبنفس المعنى جاء شاعر اخر بابيات وهي:

**قد تخوفت أن أموت من الوجدِ ولم يدر من هويت بحالي**

**يا كتابي اقرأ السّلام على مَنْ لا أسمي وقل له يا كتابي**

**إن كفا إليك قد كتبتني في شقاء مواصل وعذاب(٣٧)**

يخاف الشاعر من الموت وانقضاء حياته بسبب الحب دون معرفة محبوبة بهذا الحال لان حبه عذري عفيف وما اثر هذا الحب في نفسه من حزن فيشكو الضنى والأسى حتى يستعمل النداء للاشياء جامدة يا كتابي- فهذا الجامد هو الذي يشرح حالته لمحبوبه بطلب من الشاعر هذا الكتاب كتبه الشاعر المحبوبه في فراق متواصل ومعذب وله تأثير شديد عليه. وجاءت الابيات السابقة وهي تحمل في كلماتها لفظة الموت او البين ويمكننا القول ان الشعراء قد صوروا الموت بقوالب شعري تفي بغرضهم ففي اغلب الابيات السابقة جاء الموت مع موازنة بين

يوم الفراق مع احبائهم فهم يرثون انفسهم بشعر حزين مليء بالعاطفة والحزن فعند ذكر الفراق تقفز إلى خيالهم فكرة الموت بسبب حبهم بمعاني الحزن العميقة.

**2 –ثنائية الليل والنهار :**

شغلت الطبيعة جانبًا كبيراً من جوانب الشعر العربي وبسبب ما امتازت به طبيعة شبه الجزيرة العربية وبسبب بيئتها الصحراوية فوقف الكثير من الشعراء العرب على الطبيعة او الصحراء وراحوا يصفونها الليل والنهار اللتان اخذتا فضاءًا كبيرًا فيه ، ومن اهم مفردات الطبيعة التي شغلت الشعر العربي هيا بسبب حركتهما المتعاقبة فشعر الشعراء بمرور ايامهم وانتهاء حياتهم من خلال هذه الحركة ان لثنائية الليل والنهار في الشعر العربي بعدًا دلاليًا يبعدهما عن معناهما المتعارف عليه فمن خلال الشاعر اكتسبنا معاني دلالية ذهنية فعبر الشاعر عن هذه الثنائية بصور ضدية وصف فيه الليل وطول او قصره تابعًا لحالته النفسية وانبلاج الصباح الذي يعلن عن يوم جديد وامل جديد لدى الشاعر:

**أليس الليل يجمع ام عمرو  وايانا وذاك بنا تداني**

**بلى وترى الهلال كما اراه  ويعلوها النهار كما علاني(٣٨)**

يجد الشاعر اللذة في الليل لأنه يجمع ام عمرو واياه فصور الشاعر الليل والنهار حسب حالته النفسية والشعورية فيرتبط الليل عنده بالغزل وبثنائية الوصل والهجر وكثيرًا ما يوافق الحديث عن الليل حديثا عن الهلال فيكون الارق الذي اصاب الشاعر سببًا لتأمل الهلال ، فيثير في نفسه التمني لو أن ام عمرو معه في الليل وترى الهلال كما يراه وتكون أنيسة له في الليل الطويل ، وربما تكون أشارته الى الهلال دليلاً قاطعًا على وحدته فالشعراء يصورون الهلال والنجوم وفقًا لحالتهم النفسية فربما تكون دليلا على الوحدة او السرور وفي هذه الابيات طرق الشوق لام عمرو وتحت الهلال واستمر حتى الصباح وهذا دليلا قاطعا والباحثة ترجح على وحدته دون أنيس.

ويجد الشعراء اللذة في وصف الليل ونجومه لأنه كاتم سرهم ومنه قول الشاعر:

**ارواحنا بليل في الحين تلتقي  ونعلم أنَّا بالنهار نقيل**

**وتجمعنا الأرض القرار وفوقها  سماء نرى فيها النجوم تجول (٣٩)**

الشاعر في هذه الابيات اجد انه يوازن بين النهار والليل والأرض والسماء فهو يجد اللذة في الليل لانه لا يكشف سر لقاء المحبين فهو ساترًا لهم وسبب في هذا التفضيل لان النهار فيه الواشي الذي يحول دون لقاء الاحبة يصور اجتماعهم عبر صورة متضادة بين الليل والنهار والارض والسماء ويصف حركة النجوم فوقهم ، وكثيرًا ما يرافق الحديث عن ثنائية الليل والنهار الحديث عن الكواكب والقمر والشمس فنرى الشعراء قد غاب النوم عن عينهم واخذ يتأمل الكون يصور شاعر نجوم الليل فيقول:

**ما بال أنجم هذا الليل حائرة  أضلت القصد ، أم ليست على فلك ؟**

**عاد سواريه وقفا لا حراك بها  كأنما جثث صرعى بمعترك**

**هل من بشير بنور الصبح تنقذني  بشراه من طول وجدٍ غير مترك**

**فقد اجد التواء الليل لي شجنًا  وأضجعتني تباريحي على الحسك(٤٠)**

يسئل الشاعر بعد طول تأمله لنجوم الليل عن سبب حيرتها وربما لم يقصد النجوم بحد ذاتها فربما يكون قد استخدمها كرمز عن محبوبه ويسترسل الشاعر ليطلق في البيت الثاني تشبيه فقد شبه هذه النجوم كأنها جثث حرب و يستمر بالسؤال في البيت الثالث بقصد التمني متمنيا البشرى عن اعلان انبلاج الصبح فقد اصبح طول الليل له الحزن والألم فيصور هذا الالم عن طريق تشبيه بانه نائم على الحسك اي نبات ذي اشواك ، ويطول الليل أو يقصر بحسب الحالة النفسية للشاعر فيصور طول الليل وتجافي النوم عن عينه فيقول:

**منع النوم من شدة الاشفاق  واذكار الحبيب يوم الفراق**

**ليت شعري إذا بثينة بانت  هل لنا بعد بينها من تلاق**

**ولقد قلت نادى المنادى  مستحثًا برحلة وانطلاق**

**ليت لي اليوم بثينة منكم  مجلسًا للوداع قبل الفراق**

**حيثما كنتم وكنت فإني  غير ناس العهد والميثاق(٤١)**

جاءت قصائد جميل بثينة بحرارة في العاطفة التي تكاد تفيض بها الالفاظ والمعاني ويعود السبب في ذلك لبعده عن محبوبته بثينة وانعكس ذلك على الابيات السابقة التي حملت في متنها حرارة عاطفية اتجاه المحبوبة فيوقظ غيابها مشاعره الحزينة التي تمنعه من النوم ليلا لشدة الشوق إليها ، يوظف الشاعر الاستفهام بمعنى التمني في البيت الثاني وتبوح الابيات بالحزن بلغة رقيقة تكشف عن المه لفراقها ، يلح الشاعر بين ثنائية التلاق ويوم الفراق فيتمنى الوداع قبل الرحيل فائر يوم الفراق على الشاعر الأثر العظيم فكرر هذه اللفظة مرتان في البيت الأول والثاث لبيان ثقل هذا هذا الجفاء الذي قابلته بثينة لجميل فأنه يصر على البقاء على العهد والميثاق الذي اليوم عليه بينهم.

**شكونا الى احبابنا طول ليلنا  فقالوا لنا ما اقصر الليل عندنا!**

**وذاك لأن النوم يغشى عيونهم  سراعًا وما يغشي لنا النوم أعينا**

**إذا ما دنا الليل المضر لذي الهوى  جزعنا وهم يستبشرون إذا دنا**

**فلو أنهم كانوا يلاقون مثل ما  نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا (٤٢)**

يستعمل الشاعر رد العجز على الصدر ليصور المفارقات بينه وبين احبابه فرد قصر الليل في العجز على طوله وهم يستبشرون) فهو يعيش الصراع النفسي بسبب احبابه من x وما يغشى) و (جزعنا x في الصدر و(يغشى خلال خلق هذه الثنائيات الضدية فحس بالخذلان من احبابه فيطول الليل عليهم بسبب هجرانهم ، ومنهم من يصور الليل بشكل مبهج بعيدًا عن الحزن فيقول:

**فقد طال ليلي وعاد لي طربي  من حب خود كريمة الحسب**

**غراء مثل الهلال آنسة  او مثل تمثال صورة الذهب**

**صادت فؤادي بجيد مغزلة  ترعى رياضاً ملتفة العشب (٤٣)**

يعلل الشاعر سبب طول ليله وعودة فرحه به بسبب حبه لشابة حسنة صادت فؤاده فهو إلى جانبها واحتار في وصفها فتارة يصورها على انها هلال ويعود تارة اخرى ليصورها بصورة الذهب وفي هذه الثنائية يستخدم الشعراء الطيف او الخيال كرمز و مدخلًا لينفذوا من خلاله إلى غرضهم فيقول الشاعر في طيف قوله:

**أشجاك من ليال خيال زائر والليل مسود الذوائب عاكر**

**واعتاد مهجتك الهوى برسيسه واهتاج مقلتك الخيال الزائر**

**ناديت ليلى والظلام كأنه يم تلاطم فيه موج زاخر**

**والبدر يسري في السماء كأنه ملك ترجل والنجوم عساكر**

**وترى به الجوزاء ترقص في الدجى رقص الحبيب علاه سكر ظاهر**

**يا ليل طلت على المحب ماله الا الصباح مساعج ومؤزر**

**فاجابني: مت حتف أنفك واعلمن ان الهوى لهو الهوان الحاضر (٤٤)**

يبدو ان الطيف الذي بدأ الشاعر قصيدته به هو في معرض الشجن والحزن لفراق الحبيب فهو يجعل من خيال الشجون فخيال الحبيبة جاء كعزاء للشاعر وتسلية له عن همه بدون نداء منه كل ليلة فقد اعتادت مهجة الشاعر على اثر الهوى فيها واحتل ذاك الحيال مهجته وهو يجري في زمان غير حقيقي فهو اقرب إلى احلام اليقظة ، فالشاعر غالبًا ما يلجأ إلى الخيال التماسًا بالوصل وأشباعًا لحاجته النفسية فهو لا يستطيع رؤيتها في الحقيقة فيلجأ إلى الخيال وهو في خلوة مع نفسه ، ويستجلب الشاعر صفات الليل يؤكد على شدة سواده) مسود- عاكر- الدجى) ويستمر الشاعر بالتشبهيات عبر الصور المتتالية باداة التشبيه- كأن مرتان فشبه الظلام باليم وشبه البدر بملك والنجوم عساكر للاشارة الى شدة الظلام ويكرر هذا التشبيه الاستعاري في البيت الرابع حيث يصف الجوزاء برج في السماء- كأنها راقصة في الظلام ترقص من شدة السكر ن ويرى ان النهار حليفه ومناصره ضد هذه المعركة مع الليل فكأنه في حوار مع الليل ويجيبه الليل بحتمية موته من الهوى رغم انفه،ويبدو ان استعمال هذه الثنائية في الشعر يتعلق في بعض الاحيان بالغرض او الموضوع الشعري الذي يتطرق إليه الشاعر.

### 3 -ثنائية الماضي والحاضر

أن الماضي هو احد الابعاد الزمنية المخزونة في ذاكرة اي فرد منا ، ولا ننظر إليه على انه شي مادي مستهلك وذاهب بل هو الأليف الآمن الذي نصاب بالحنين له ونود استرجاع لحظاته ونتوق إليه فذكرياتنا هي المتنفس

الوحيد الذي نحاول الهرب اليه من مرارة الحاضر والشاعر كما نحن فهو يصور تجربته وانكساراته واحزانه التي تعاقبت ويضعها في قوالب شعرية عذبة فذكر الشاعر وما كان وما هو كائن فقال الشاعر:

**واذكر ايام الحمى ثم انثني  على كبدي من خشية أن تصدعا**

**فليت عشيات الحمى برواجع  عليك ولكن خل عينيك تدمعا**

**بكت عيني اليسرى فلما نهيتها  عن الجهل بعد الحلم اسبلتا معا (٤٥)**

ينطلق الشاعر بقصيدته عن طريق افعال الأمر اذكر وانثني– للوقوف على الذكريات وسرعان ما يعود الشاعر لحاضره لتصوير حالته النفسية ودموعه لفقدانه الحمى– هو ما يقصد به الوطن او المسكن– وحنينه إلى الايام الماضية فيقف على آثار منازل ويعيش غربة زمانية ومكانية وقد هذه الحمى لحبيبته ويصف حالته عند وداعها ويهيج حنينه إليها وإلى تلك الايام ويكاد يتفطر الكبد من الحنين وليكمل البيت الثاني الذي يرى لن تعود الأيام السوابق فأكثر من البكاء عليها فقد يكون هذا البكاء شفاء لما في الصدور ، وما جاء على لسان الشاعر من استذكار الماضي قوله:

**رمل ، هل تذكرين يوم عزال  إذ قطعنا مسيرنا بالتمني**

**إذ تقولين: عمرك الله هل شيء  وإن جل سوف يسليك عني (٤٦)**

جاءت هذه الابيات لغرض استدراك عاطفة رملة بنت معاوية فيبدأ الابيات بذكر اسمها والابيات فيها من الخيال الكثير فهو يصور رحلة خيالية حصلت في الماضي القريب فصور السرور في رحلته معها بهذه اللحظات الخيالية المفتعلة الذي يعتري الشاعر لحظة الوصل وراح يتغنى بهذه اللحظات فالمراة في هذه الابيات هي الوصل والنسيان والحلم والواقع ، نرى الشاعر يلجأ الى الاستفهام ( هل تذكرين) في اشارة ان الرحلة حدثت في الماضي واستعمل الاستفهام الثاني ( هل شيء) وكان متضمن معاني التعجب والتمني ولا ما أحدثه اسلوب الحوار من منح الخيال جماليته فهو حوار طريف من وحي الخيال الذي حصل في الماضي لاستدراك رملة في الحاضر.

**وما خمدت نار لنا دون طارق  ولا ذمنا في النازلين نزيل**

**وايامنا المشهورات في عدوانا  لها غرر مشهورة وحجول**

**واسيافنا في كل شرق ومغرب  بهما من قراع الدراعين فلول (٤٧)**

استعار الشاعر لفظة النار لدلالة على كرمهم في الايام الماضي ويثبت الشاعر فخره بقومه في البيت الثاني فيقول- ايامنا مشهورات وعبر عن ماضيهم بغرر مشهور وحجول- اي البياض والجحول بياض في قوائم الفرس وكلاهما كناية عن الوضوح ، فبعد ان فخر الشاعر بكرم قومه واستعار له اجزل الالفاظ عادوه هاجس الفروسية والحرب واستذكر ايامهم الخوالد وايام القراع وسيوف المعارك العاطفة التي حفزت الشاعر لنظم هذه الابيات هي عاطفة الاعتزاز والفخر بقومه وايامهم وهي عاطفة تتسم بالعمق واقرب ما تكون للصدق والزمن في هذه الابيات يعبر عن ماض يريد الشاعر استرجاعه ويتمنى ان يستبدل حاضرهم بالماضي الذي بقي مجرد ذكريات.

**يا زيد دونك فاحتفر من دارنا  سيفًا حُسامًا في التراب دفينا**

**قد كنت ادخره ليوم كريهة  فاليوم أبرزه الزمان مصونا (٤٨)**

يتنازع االابيات زمنان: الماضي والحاضر فالشاعرة ترفض الحاضر دون زيد وتتمثل الثنائية بين الماضي قد كنت والحاضر- اليوم- وفالفاء تفيد التعاقب والترتيب وتدل على سرعة مرور الايام الماضية وتحول الحال وتجرد الشاعرة شخصًا يا-زيد- تخاطبه وتشاركه همومها بعد وفاته وذهاب ايامه الماضية وتمدحه بسيفًا حُسامًا- والموت هو اثر من اثار الزمن وانقلابه.

**كنا على ظهرها والدهر على مهل  والعيش يجمعنا والدار والوطن**

**ففرق الدهر بالتفريق الفتنا  فاليوم يجمعنا ببطنها الكفن (٤٩)**

يرجع الشاعر الى الزمن الماضي ب -كنا- ليستعيد الذكريات وما جرى عليهم من نوائب في الزمن الحاضر فلم يبق له سوى ذكرهم فالشاعر داخل صراع بينه وبين الدهر فوقف عاجزا امامه فاراد العودة للماضي الذي ربما يكون متنفسًا له لان الدهر خائن لا صاحب له فهو متقلب فبعد ان كانوا الاحباب في الدنيا والأرض تجمعهم فرق الدهر بينهم بالموت فالشاعر في الابيات وجد نفسه في غربة عاشها بسبب تحول صروف الدهر التي لا يملك ازائها سوى التمني والتذكر ويرى ان هناك حتمية لاجتماعهم في الزمن الحاضر- اليوم- لا مناص منه بعد ارتداء الكفن ونستطيع القول ان نظرة الشاعر للماضي والحاضر ظلت نفسها في مختلف العصور فلم نجد شاعرًا يكثر

مدح الحاضر او يكثر من ذم الماضي بل ان الشعراء انفًا يتفقون على مدح ماضيهم وذ الحاضر فالشعراء جميعهم يقفزون للماضي لانهم عاشوا–الاغلب– ماضي جميل واسترجعوا ذكرياتهم الحافلة بالسرور.

**4–ثنائية الحاضر والمستقبل**

لم يكن الشاعر مكتوف اليدين بل كانت له وقفة مصورة بما كانت حياته وما ألت إليه وما ينبغي ان تكون عليه ولكن تغييرا المستقبل اغلبًا ما يكون بيده اذا اراد تغيير الواقع هذا يقع تحت مانسميه توقع المستقبل ومنه قول الشاعر:

**فإن يك صدر هذا اليوم ولى  فإن غدًا لناظره قريب (٥٠)**

يصور الشاعر الحركة الزمنية فينطلق الزمن من الحاضر الى المستقبل فيتنازع البيت زمنان هما الحاضر والمستقبل وتتمثل الثنائية منذ انطلاق البيت بالحاضر صدر– هذا اليوم– والمستقبل– غدًا والفاء في فان– فادت التعاقب وتدل على سرعة مرور الايام وتبدل الحال ويريد الشاعر التحذير من الغد (المستقبل) والدعوة الى التيقظ من تحولات الدهر باستعمال المثل العربي" انا غدًا لناظره قريب" المقتبس من القرآن الكريم" أليس الصبح بقريب" ( سورة هود ٨١)

**الخاتمة:**

أن للزمان دور مهم في الشعر العربي فهو يحمل إبعاد ودلالات عميقة ويبدو لي أن أختيار زمان معين من قبل الكتّاب والشعراء له إشارة مشفرة لدلالات مهمة تساعد على ازالة بعض الغموض وفهم المعنى بشكل الصحيح واضافة إلى دوره الفعال داخل الأعمال الأدبية الذي لا يمكننا اليوم الإغفال عنه .

**الهوامش:**

١–لسان العرب لأبن منظور ج ٦ ص ٨٦

٢– المصدر نفسه ج٦ ص٨٧

٣- تاج اللغة وصحاح العربية الجوهري ص٤٩٩

٤- تعريفات الجرجاني محمد صديق المنشاوي ص١١٩

5- كشاف اصطلاح العلوم والفنون التهاوني تحقيق علي دحروج ص ٩٠٩

٦-يُنظر: المعجم الفلسفي جميل صلبيا ج ١ ص ٦٣٦

٧- يُنظر: الزمان الوجودي عبد الرحمن بدوي ص ٢٠

٨- المعجم الفلسفي ج ١ ص ٦٣٦

9-المصدر نفسه

10 -يُنظر: الزمان الوجودي ص ٥٣ ص٥٤ ص٥٧

11-يُنظر: نظرية الرواية عبد الملك مرتاض ص١٧١ ص١٧٣

12-يُنظر:بنية الشكل الروائي حسن بحراوي ص ١٧

١٣-يُنظر: المصدر نفسه ص ٧٣

14-يُنظر:المصدر نفسه ص١١٤

15-يُنظر: بناء الرواية سيزا القاسم ص ٣٧

16 -يُنظر: المصطلح السردي جيراند برنس ترجمة عابد خزندار العدد ٣٦٨

17-يُنظر: الزمن والشعر جلال الخياط ص٨ وص٩

18-يُنظر: مشكلة الأنسان دكتور زكريا إبراهيم ص٧٨

19-يُنظر: الزمن في الرواية العربية مها القصراوي ص١٠

20-يُنظر: الزمن وإبعاده وبنيته عبد اللطيف الصديقي ص٤٠

21-المصدر نفسه ص ٣٩

22-يُنظر: بناء الرواية ص ٣٧و ص ٣٨

23-يُنظر: بنية الشكل الروائي ص١٠٨

24-يُنظر: في النقد الأدبي منطلقات وتطبيقات فائق مصطفى وعبد الرضا علي ص ١٩٩ وص ٢٠٠

25-يُنظر: الزمن في الرواية العربية ص١٨

26-يُنظر: الزمان الدلالي دراسة لغوية لمفهوم الزمان والفاظه في ثقافة العربية كريم زكي حسام ص ٥٠

27-يُنظر: المصدر نفسه ص٥٢

28-يُنظر: البناء الفني في الرواية العربية في العراق شجاع العاني ص ٦٨

29-يُنظر: بناء الرواية ص٣٧

30-يُنظر: بنية الشكل الروائي ص ١١٤

31-الزمن في شعر ابن خفاجة حمدي أحمد ص١٦

32-قصص العرب م١ ص ٢٣٦

33-قصص العرب م ٤ ص١٨٠

34-قصص العرب م ٤ ص ١٣٠

35-قصص العرب م٤ ص ١٣٩

36-قصص العرب م ٣ ص١١٥

37-قصص العرب م ٢ ص ٤٩٦

38-قصص العرب م ٤ ص ١٥٤

39-قصص العرب م٤ ص ٢٣٧

40-قصص العرب م٢ ص٢٠٤

41–قصص العرب م٤ ص ١٥٦

42–قصص العرب م ٣ ص ٩١

43–قصص العرب م٣ ص ٤٩

44–قصص العرب م ٤ص ٢٠٦

45–قصص العرب م٣ ص ٦

46–قصص العرب م٤ ص ٨٤

47–قصص العرب م ٤ ص ١٠٤

48–قصص العرب م ٣ ص ١٧٢

49–قصص العرب م ٤ ص ١٢٧

50–قصص العرب م ٤ ص ٢٤